الفصل الرابع

الصدق المنطقي

الفصل الرابع

الصدق المنطقى

المنطـق هو العلم الذى يبحث في صحيح الفكر وفسـاده، وهو الذى يضع القوانـين التى تعصـم الذهن من الوقوع فى الخطـأ فى الأحكام، فموضوعه هو الفكر الإنسـانى من ناحية خاصة، وهى ناحية صحته وفسـاده، ويتم له ذلك عـن طريق البحث فى القوانين الفعلية التى يتبعها العقل الإنسـانى فى تفكـيره، فما كان من التفكـير موافقاً لهذه القوانين كان صحيحاً، ومـا كان مخالفاً لها كان فاسداً[1]. ولذلك كانت غاية المنطق هى توجيه الفكر للوصول إلى الحقيقة، فهو إذاً يحلل أنواع التفكير وأسـاليبه، ويبين وظيفـة كل نوع وصلته بالأنواع الأخرى كـما ينقد الفكر الخاطئ ويظهـر مواطـن الضعف فيه[2]. معتمدا فى ذلـك على منهجه وهو التحليـل النقدى القائم على التفكير[3].

وعلى هذا الأساس لابد أن نتساءل....

إذا كان للمنطـق كل هـذه الأهمية فى توجيه الفكر للوصـول إلى الحقيقة، فما هو المنطق الذى يدعو إليه سانتيانا فى فلسفته، وما هو مفهوم الصدق المنطقى؟

يرى سـانتيانا أن المنطق هو المنطق، كما أن أنظمة العلاقة التى تم اكتشـافها بين عناصر الماهية لا تشكل الصدق ولكن تشكل أنواعاً أخرى من الماهيات التى تحوى فى داخلها الماهيات

(1) على عبد المعطى محمد، السيد نفادى: المنطق وفلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص 20.

(2) جميل صليبا: المنطق، مؤسسة عويدات، بيروت، د. ت، ص 10.

(3) بول موى: المنطق وفلسفة العلوم، مرجع سابق، ص27.

المرتبطـة بعضها ببعض، وتكون جزءًا من الماهية الرئيسـية. وتصبح هذه الأنظمة مثل الحدود المنطقية عبارة عن وسيلة للتعبير عن الصدق، وذلك إذا تم اكتشافها وجعلها تقف وجها لوجه مـع تفكيرنا الاسـتنباطيour deductive reasoning والصدق حينئذ سـيقوم بترويض المنطق الخـاص بنا فى العالم[1]. ولكن إذا كان المنطق يرفض أن يقوم بهذه التضحية الأولية بذاته ليلقى بنفسـه نحـو الدافع والصـدق أو الحقيقة، فإنـه يصبح عندئذ وبسرعة غـير عقلانى كما يفقد تبريراته الخاصة، وذلك لكونه يتواجد من خلال فضيلة الدوافع الإنسانية[2].

إذا كان العالم كما يقول الفيلسوف محل الدراسة يعيش فى حالة من الفوضى، فإن الصدق فى هذه الحالة قد يتخلى عن وجود العقل أو يجعل العقل موجودا فى أقل مسـتوياته، ولكن مع كل هذا توجد عقلانية جزئيةpartial rationality أو تعهد عقلانى فى الأشـياء التى ساعدت العقـل فى توضيح أفكاره وتطويـر منطقه[3]. فالمنطق هو طفل الواقع عند سـانتيانا، كما أن الروح هى الطفل الذي يولد من النفس، فالمنطق هو الطفل العنيد الذي ينكر أن يكون اللبن الحلـو المـذاق قد تغذى وتربى عليـه فى الصغر، إنه لا يبقى فقط فى المـاضى، بل يحدد بصورة أساسـية اختبار الماهيـات التى ترتبط فى علاقة مـا بالمنطق، ولكنه يبقى بشـكل معاصر فى هـذه الحالة، حيـث أن الأفكار عند علماء المنطق يتم التحكم فيهـا عبر الحوادث الفيزيقية والضغوط الاجتماعية[4].

مـن خلال ما سـبق يتبين لنا أن المنطق عند سـانتيانا يرتبط ارتباطًـا وثيقًا بالصدق، ولكن هذا الصدق الذى يشير إليه سانتيانا هو مطابقة الواقع الفعلى، وعليه يكون المنطق هو المنطق الواقعى الذى يعتمد على العقل، والصدق هو التطابق مع هذا الواقع، فهو يقول إن المنطق عند ارتباطـه بعنصر الواقع، فإنه ينجح فى أن يلعـب دورا أخلاقياً هاماً، وذلك على اتجاهين: حيث يضفى المنطق على العالم صفات إنسانية، تلك الصفات التى نفكر ونستخدم فيها العقل، حيث يحيـى التأملات الأبعد وصـولاً فيها وموحداً بينها وبين الحياة الواقعيـة. ومن ناحية أخرى فإن المنطق يتقفى ويتحسس آثار أشعة الصدق، أعنى بذلك أنه عندما يكون أحد الحدود المعروفة

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.419.

(2) G. Santayana: Reason in Common Sense, op. cit, p.199.

(3) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.419.

(4) Ibid: p. 220.

فى مجال المنطق يصف الواقع، فإن النظام المنطقى بأكمله يتصل بهذا الحد، وبالتالى يصبح جزءً من الصدق[1].

يرى سانتيانا أن مصطلحات المنطق نفسها ترتبط بلمحات من الحقائق أو الوقائع، حيث نعمق من هذا الإدراك الإنسانى والأخلاقى عندما نطور بصورة مثالية الأنواع التى يرتديها العنصر الواقعى فى حد ذاتها أو عندما يقيم علاقة بين القدرات والاهتمامات الإنسانية مثل الشاعر الذي يتعمق فى إحساسه بالجمال، فإذا كانت إحدى الجماليات موجودة فى عقله فإنه يتذكر الأخرى منها، كما أنه يجد صوراً بلاغية وكلمات موسيقية معبرة عن موقفه[2].

لقد أكد سانتيانا أن المنطق يتضمن صدقاً طبيعياً فيما تناوله من نظريات فى بداية نشأته، وعلى وجه الخصوص فى مجال القياس، فقد ساعدت الدراسات التى تقدمت فى مجال الموضوعات المادية على تكوين صور ذهنية دقيقة فى العقل الإنساني، فالأفكار ليست صادقة لأنها واضحة، بل على العكس فهى واضحة لأنها صادقة، وهذا ما شجع الصدق على الخوض فى الموضوعات الديالكتيكية[3]. وهنا يجب القول أن ما هو ضرورى منطقياً ليس بالضرورة صادقاً، حيث يكون الصدق فى هذه الحالة محتملاً ويكون عبارة عن قضية ضرورية، لأن الحقائق من خلال التعريف تصنع صحة الصدق وكل الوقائع، ومن خلال التعريف تكون هذه الحقائق محتملة، لكن لا توجد ضرورة فى هذا الاختبار أو فى تطبيق هذه التصنيفات كعنصر ضرورى أو جعله صدقاً أو واقعاً، وهذه التصنيفات لا تمتلك بالضرورة الصحة فى كونها تعبر عن الواقع. وسانتيانا ينظر لذلك كأمر واقعى حيث تمثل هذه التصنيفات الصدق أو على الأقل معبرة عن الصدق بدرجة كافية، فهذه الأنواع تشتمل على فكر إنسانى بطريقة عادية مما يجعل الواقعية Reality تبدو بشكل تام عبارة عن تصديق[4].

وقد كتب فيلسوفنا تحت عنوان «مذهب المطلق المتعالى»، يقول « إنه إذا كانت الرياضيات والمنطق وكل قوانين العلوم أهم من قواعد الشطرنج من وجهة نظر الطبيعة، فإنها

(1) Ibid: p. 222.
(2) Ibid: p. 422.
(3) Ibid: P. 443.
(4) Ibid: p. 224.

لا تختلف إختلافاً أساسياً عن قواعد الشطرنج. فالمادة أو العقل قد يلتزم بهذه القوانين، وقد يستمر في التزامها. لكن سريانها محدود. وهى لا تكون ذات أهمية أساسية إلا فيما يتعلق بنفسها في عالم الماهية، أما فى الطبيعة فهى سائدة على أساس الوقائع فحسب، وهذا أقصى ما يمكن أن يقال فى شأنها»[1].

وعندما كان الصدق مرتبطاً بالواقع - فإنه لا توجد حقائق منطقية بحته ولهذا فإن الرياضيات وهى تتناول فقط العلاقات بين الماهيات، فهي ملزمة شكلاً Formally Cogent ولكنها ليست حقيقية، فحين تطبق الرياضيات على عوالم الوجود فإنها تدرج ضمن الحقائق[2]. حيث يقوم علماء الرياضيات بتطوير معنى بعض الأفكار المعطاة لديهم، وكذلك يبحث عالم النفس فى أصل هذه الأفكار كما يصف علاقة هذه الأفكار بباقى الخبرات والتجارب الإنسانية، والنبى يطور من نشوته، وكذلك اللاهوتى يطور من نبوءته والتى لا تمنع المؤرخ فيما بعد من أن يصل و يظهر بعد ذلك أصل هذه الفكرة[3].

إن الاختلاف بين المنطق والصدق عند سانتيانا يعد اختلافاً احتمالياً، فيقول سانتيانا بصدد ذلك أننى ليس لدى الرغبة فى الدخول فى معارك مع الجنس البشرى لاستخدام الكلمات التى يختارونها فى الحديث عن الصدق، وأيضا فى المواقف والحالات التى يكون فيها فقط انسجاماً واتساقاً. فيوجد الكثير من الصدق حتى فى إحساسى عنه، كما أنه يكون صدقاً ممكناً إذا ما ارتبطت الفكرة التى تصف الأفكار الموجودة بالفعل فى العقل الإنسانى وليس فقط عن طريق الصدق النفسى والتاريخى الذى يصف الأفكار، ولكن يكون الصدق الصورى formal truth فى وصف الفكرة المقبولة فى حدود تختلف عن تلك الحدود التى ارتبطت بها الفكرة فى البداية، ونعنى بهذا أنها تغيراً فى التعبير الذى يقدم تحليلاً لهذه الفكرة، ويسهم فى استخراج الماهيات الأساسية فيها[4]. فالرياضيات والمنطق ونوع معين من علم النفس ربما يصنع علم

(1) جورج سانتيانا: مذهب المطلق المتعالى، بحث منشور فى كتاب «فلسفة القرن العشرين»، إعداد / راجوبرت د. رونز، ترجمة / عثمان نويه، مراجعة/ زكى نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص 93.

(2) عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 582.

(3) G. Santayana: Reason in Common Sense, op. cit, p.197.

(4) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.426.

الظواهـر المنطقيـة Phenomenological Science بمعـنى وصفا مخلصا لعـدة مجالات للماهية التـى تـم بالفعل اختيارهم فيها، كما يجب أن ندع لهذا أن يحدث على الأقل، وذلك على أسـاس عنصريـة اللغـة الإنجليزية، فعلى الرغم من كونها لغة صحيحة موثوق بها فهى مع ذلك تدعى الصحة والحقيقة[1].

و إذا كان هيجـل قد اسـتطاع تحليل معاني الأفكار باسـتخدام الجدل مما يسـاعد على بقاء قوة الأقيسـة المنطقية كما هى سواء أكانت أقيسـة منطقية خالصة أم أقيسة تجريبية مسـتمدة من البيئة المحيطة بنا. فإن سـانتيانا أيضاً قد اسـتطاع تحليل قواعد اللغة وربطها بالمنطق، حيث رأى أن المنطق هو الشكل النهائي الراقي لقواعد اللغة، فإذا استطاع الفكر تأسيس قاعدة نحوية ينتج عنها تقسيم الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة، وعنها ينتج أيضاً قاعدة أخرى فى صفات الأسـماء، أى الصفات التى نمنحها للأسماء والصفات جنباً إلى جنب، كل زوجـين معاً مثلما نرى فى المدارس المختلفة الإناث مع الإناث، والذكور مع الذكور، وكل اثنين معاً، فإذا اسـتطاع الفكر القيام بذلك فإن قواعد النحو لا تحتاج إلى مثل هذه المماثلة الجنسية[2].

وعلى هذه الجدلية فإن سـانتيانا لا يسـتبعد المنطق الترنسـندنتالى من نزعته المادية، ولكن يعترف به عندما يأخذ مكانه فى التفكير ويكون فى درجة ثابتة مع النزعة المادية مثلما يكون منسجما وعلى اتسـاق مع الاتجاه المادى، وكذلك يعترف سانتيانا بسيطرة القواعد النحوية على اللغـة، وذلك عندما تطور اللغة الجزئية النحـو الجزئى، ولهذا يكون المنطق مترابطا مع الاتجاه المادى، كما تعمل اللغة كوسيلة اتصال، فعلى الرغم من أن اللغة يتم تطويرها بشكل عضوى، فإنهـا مع ذلـك لا يمكنها أن تفرض قاعدتها النحوية على الأشـياء أو عـلى اللغات الأخرى، إن المنطق الترنسـندنتالى يساعد بشكل متشـابه على النطق ببعض المدركات الخاصة والتى ترتبط بالمجال الذاتى أو المجال الشعرى[3]. فإذا كان للمنطق أى شرعية أو لكونه خصص لغرض معين لعلاقة الحقائق البعيدة المدى، فإنه علاوة على ذلك يبقى سـؤالا مطروحاً. حيث إن كل تطور

(1) Ibid: p.422.

(2) Ibid: p. 239.

(3) G. Santayana: Apologia Pro Mente Sua , op. cit, P. 506.

عقلى للمنطق يتسم بالأهمية المادية، منذ كونه لا يستطيع تقديم دلالة واضحة لأساسه المادى. كـما أن الأصـول الداخلية أو التكوينية للمنطق المتعالى تشـبه إلى حد كبير الشـعر والدين، حيث يفرض نفسـه بشـكل حر وبـدون قيود فى العـراء، أعنى بذلك أن المنطق الترنسـندنتالى لـه مكانة فى عالم الماهيـة، حتى هذا الدافع الحيوى الذى يدعم على اسـتقراره ويجعل الرياح الروحية تبدأ فى الهبوب من مكان آخر[1].

إن التأكيـدات المنطقيـة أو الصوريـة عنـد سـانتيانا لديهـا الصحـة والشرعية فى اتسـاقها وانسجامها وليس فى توافقها مع قوة الملاحظة أو الواقع. ومن هنا فإن العلاقات الرياضية أو الصورية يمكن أن تتواجد بدون أن يكون هناك أحداث يمكن إدراكها أو ملاحظتها، فالعلوم الصورية أو الديالكتيكية كما يسـميها سـانتيانا أحياناً تختص فقط باتسـاق الأفكار المجردة، فعلى سـبيل المثال: إذا كانت كل أ هى ب، وكانت كل ب هى ج، فـإن الناتج من الناحيـة المنطقية هو أن كل أ هى جـ، وعلى ذلـك فإن النوع الوحيد مـن الصدق هو الـذى يكون فى النتائج الصورية أو الجدلية التى تكون فى الاتسـاق أو الترابط الأبدى[2].

ومن خلال ما سبق، نستطيع أن نستنتج حقيقة مهمة وهى أن سانتيانا يؤكد على أن الصدق مرتبط بوجود العقل Min، فلولا وجود العقل ما كان هناك خطأ أو صواب، كما أنه لن يكون هناك صدق أو كذب فيما عدا القضايا والأحكام التى لها صلة وثيقة ببعض الحقائق المحددة، لأن الصدق غالباً يسـتخدم بهذا المعنى المجرد، وهو مـا نطلق عليه لفظ الصحة Correctness كما أنه الصفة التى توصف بها كل الأحكام الصحيحة بوجه عام[3].

يشير سانتيانا إلى حقيقة مهمة فى عالم الصدق وهى أنه حتى ولو كانت الأفكار الرياضية أقل فى صدقها الواقعى للعالم، ولكن امتلاك هذه الأفكار ربما يكون عبارة عن دليل غير مباشر حيـث إنها عبارة عن قيمة إدراكية cognitive value كما تكون فى بعض الأحيان صادقة، فإذا أردنـا أن نقول بأن هذه الأفكار خاطئة، فإننا يجب أن نقدم أفكارًا أخرى أكثر واقعية وأكثر

(1) Ibid: P. 506.

(2) Guy W. Stroh: American philosophy from Edwards to Deweys, op.cit, p.202.

(3) G. Santayana: Scepticism and Animal faith. op. cit , pp. 266,267.

صدقاً. ولكن ما هى الأفكار التى تكون أكثر واقعية من هذه الطبائع الرياضية، ونستطيع أن نعرضها فى حيز الفعل وديناميكية العالم؟[1].

أنـه إذا اقترنت الواقعية Reality بالكينونة الروحية، فإن الرياضيات تصبح لسـوء الحظ عديمة القيمة، كما أن دراستها تصبح جزءً من الماضى، بل ربما تكون خطيئة، فإذا انغمس رجل روحانى مثل باسـكال Pascal فى العلوم الرياصية فإنه سـوف يشـعر بالنـدم والعذاب الذاتى، حيـث أن الإيمـان الذي يتأسـس على علم المنطق هو إيمـان غير مدرك كما يكتنفـه الجنون[2]. ولذلك يتعلق الصدق أو الكذب بالأمور الفعلية للواقع - فيقال عن مقدمات الحجة أو نتيجتها إنها صادقة إذا جاءت مطابقة للواقع الفعلى، أما إذا جاءت غير متفقة مع هذا الواقع فإنها تكن كاذبة. فما يحدث في الواقع إذن هو محك الحكم بالصدق أو بالكذب[3].

إن النزعـة الداخلية للمنطق عند سـانتيانا ربما تكون غير متصلة بموضوع الصدق، وذلك لأن المنطـق يحمـل فى طياته صدقاً طبيعياً خاصة فيما تناوله من نظريات فى بداية نشـأته، وفى خطوطه الرئيسـية لنظرية الاستنباط deduction وفى العديد من عناصر تطوره. فقد ساعدت الدراسـات التى تقدمت فى مجال الموضوعات المادية على تكويـن صور ذهنية دقيقة فى العقل الإنسـانى، فالأفكار ليسـت صادقة لأنها واضحة، بل على العكس هـى واضحة لأنها صادقة، وهذا يشـجع الصدق باستمرار فى أن يخوض عالم المنطق فى تتبع الموضوعات الديالكتيكية[4]. وعلى الرغم من كون الصدق فى حد ذاته المجال الوحيد للماهية حيث ينشأ من حقيقة حتمية ومؤكـدة، إلا أنه يكون محددا كـما تكون الماهية محددة به، حيث يعمـل الصدق فى حد ذاته على تأسـيس انسـجامات معينة تسـيطر على عالم الفكر الذى برز بصورة أساسـية من خلال الاحداث[5].

وهنا يقول «شارلزهارتشـون» charles Hartshorne أحد الباحثين فى فلسفة سانيتانا: إن سـانتيانا ذكر الصدق كنوع من التقرير، أى أن الصـدق لا يحتاج إلى دليل، ومع ذلك فإن رأى

(1) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.437.

(2) Ibid: p. 237.

(3) محمد مهران رشوان: أسس التفكير المنطقى، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006، ص47.

(4) G. Santayana: Realms of Being, op. cit, p.437.

(5) Ibid: p.446.

سانتيانا فى الصدق يأتى بمعنى أن «ما سوف يحدث» سيحدثWhat will happen will happen وأن هناك شـيئاً ما، وهذا الشيء محدد ويجب أن يكون صادقاً فيما يختص بقضايا المسـتقبل مما يستوجب معه تطبيق قانون الوسط المرفوع أو الممتنع(*) The law of Excluded Middle وأن كل قضية حتى و إن كانت تختص بالمسـتقبل لها قيمة صدق محددة. ولا يعنى هذا أن المسـتقبل يجب أن يكون ثابتاً لا يتغير(1).

(*) هو مبدأ الوسط المرفوع أو قانون الثالث المرفوع Excluded middle ويقرر أن أية قضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة ولا ثالث بينهما - أى: (ق ٧~ ق).

انظر - صلاح محمود عثمان: المنطق متعدد القيم بين درجات الصدق وحدود المعرفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002 م، ص 18.

(1) Charles Hartshorne: Doctrine of Essence in: the philosophy of George Santayana, Edited by, P. A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1951, p. 176.